الفـــرز الحـــضـــاري لا الطائفي

■■■ الأقليـــــات.. المشكلة والحل

obeikan.com

obeikan.com

الفرز الحضاري لا الطائفي

الإسلام دين وحضارة، دين وحضارة المسلمين، وحضارة غير المسلمين في تلك الرقعة الجغرافية والمساحة التاريخية الممتدة في آسيا وأفريقيا بالذات على فترة طويلة من التاريخ (أكثر من ١٤ قرنا) ومنذ أن صبغ الإسلام هذه المنطقة السكانية بالقيم الحضارية والثقافة الإسلامية، واختار أهلها طواعية من أسلم منهم ومن لم يسلم ـ الثقافة والحضارة الإسلامية، بل وأسهم في صياغة هذه الحضارة منذ ذلك الوقت، فإن الحضارة الإسلامية أصبحت علماً على هؤلاء الناس في قيمهم وثقافتهم وسلوكهم، بل ومعاركهم التاريخية وخاصة مع الحضارة الغربية، التي ما فتأت تكيد للحضارة الإسلامية وتستهدف تذويب المسلمين وغير المسلمين في حضارتها وإلحاقهم جميعا كعبيد في ذيل الحضارة الغربية.

وفي العصر الحديث، حاولت الحضارة الغربية أن تلعب لعبة خبيثة في بلادنا بهدف الكيد للحضارة الإسلامية وبهدف نهب المنطقة وهي لعبة الطائفية، ولكن المسلمين وغير المسلمين في بلادنا فهموا هذه اللعبة القذرة وتصدوا لها لأنهم أدركوا أنها تستهدف المسلمين وغير المسلمين وأنها حضارة غير أمينة وأنها تلعب لعبة الطائفية كلعبة قذرة، وفهم غير المسلمين وخاصة المسيحيين (١) أنهم وثقافتهم الوطنية مستهدفون للذوبان على يد تلك الحضارة.

ولا شك أن الموقف الصحيح ـ ومن أجل مستقبل أفضل ـ يؤكد على ضرورة التمسك بالقيم والثقافة الوطنية ورفض المشروع الحضاري الغربي.

نحن إذًا أمة ذات حضارة تضم المسلم وغير المسلم ويدافع عنها المسلم وغير المسلم ونحن نواجه محاولات مستمرة لضرب حضارتنا وثقافتنا الوطنية ومحاولة تغريبنا بهدف إخضاعنا للمشروع الحضاري الغربي.

وكل من يقف مع المشروع الحضاري الوطني سواء كان مسلما أو غير مسلم فهو في الموقف الصحيح، وكل من يتخلى عن المشروع الحضاري الوطني سواء كان مسلما أو غير مسلم فهو في الموقف الخطأ أو الخياني.

والمسألة هنا مسألة فرز حضاري وليست مسألة فرز طائفي ومسألة الفرز الطائفي ـ وهي بدعة جاءت مع الاستعمار ـ أمر يرفضه كل وطني مسلماً كان أو مسيحياً. فعلى سبيل المثال عاش لبنان آمناً مستقراً ـ تحت الحكم العثماني ـ من الفتن الطائفية ولم تكن هناك إفرازات طائفية ولا حتى مصطلحات طائفية حتى بداية القرن التاسع عشر، ولكن مع ظهور إرساليات التبشير وتطلّع الدول الاستعمارية وخاصة إنجلترا وفرنسا وروسيا وألمانيا إلى مد نفوذها في تلك المنطقة، بدأت على الفور التميزات الطائفية والفتن الطائفية وخاصة أعوام ١٨٤١/ ١٨٤٥/ ١٩٦٠ لأن كل دولة من هؤلاء ـ وعن طريق إرساليات التبشير التابعة لها حاولت استمالة طائفة من الطوائف اللبنانية.

ولعل أعجب ما في الأمر أن الأمير عبد القادر الجزائري الذي كان يعيش في الشام في ذلك الوقت هو الذي قام بحماية نصارى الشام من الدروز عام ١٨٦٠ عاكساً ومؤكداً بذلك مسئولية الحضارية الإسلامية، ومشيراً بسلوكه الفذ هذا إلى أن الإسلام يرفض الطائفية ومدركا أن هذه الطائفية لعبة استعمارية تمهيدًا للتدخل في شئون الشام بحجة حماية الأقليات (٢)، تقول الدكتورة سوسن إسماعيل في رسالتها للدكتوراه عن الجذور التاريخية للأزمة اللبنانية (منذ بداية القرن التاسع عشر غدت القنصليات الأجنبية في ولايات الشام أوكارا للدسائس والفتن وإثارة الاضطرابات عن طريق تحريض الطوائف الدينية وترويج الشائعات التي كانت تسبب الفتن الطائفية) (٣).

وتقول الدكتورة سوسن إسماعيل أيضاً (وجّه المبشرون الأوروبيون اهتمامهم إلى البيئة المسيحية في الشام يثيرون الخلاف في طبقاتها وأصل مذاهبها، وأن المنافسة بين المبشرين البروتستانت وبين المبشرين اليسوعيين ألقت في البلاد فتناً ومنازعات

مذهبية واجتماعية وقد تبارى المبشرون البروتستانت واليسوعيون في خلق هذه الاضطرابات بين الطوائف المسيحية ذاتها) (٤).

وتتحدث الدكتورة سوسن إسماعيل عن أسباب فتنة الشام في فصل خاص أفردته لذلك تحت عنوان " أسباب الفتنة وحوادثها " قائلة (عمدت السياسة الأوروبية إلى ترسيخ قدمها في المنطقة عن طريق غرس بذور الخلاف بين الطوائف مستعينة بالإرساليات الدينية والتعليمية) (٥).

وإذا تركنا الشام وجئنا إلى مصر، نجد أن الفتنة الطائفية والسلوك الطائفي ومصطلح الطائفية نفسه جاء مع المحاولة الاستعمارية الأولى (الحملة الفرنسية ١٨٠١ / ١٧٩٨)، ففضلاً عن محاولات خلق طابور خامس قبطي وتجنيد عدد من السفلة مثل يعقوب لهذا الغرض، فإن أدبيات الحملة الفرنسية هي أول من استخدم الفرز الطائفي في منشوراتها.

يقول محمد جلال كشك (كان الجبرتي يقسم أهل مصر إلى الأمراء وأولاد البلد وأولاد العرب، أو المشايخ ومساتير الناس والزعران والحرافيش والفلاحين والعربان ولكن حكومة الثورة الفرنسية قسمتنا إلى مسلمين ونصارى ويهود، وأصبح الناس في مصر ـ حسب المنشورات التي تصدر عن الفرنسيين ـ إما فرنساويا أو مسلما أو روميا أو نصرانيا أو يهوديا) (٦).

وأينما سرت أو بحثت في الأحداث والأدبيات فستجد أن السلوك الحضاري والفرز الحضاري هو ديدن أبناء المدرسة الوطنية المنحازين إلى المشروع الحضاري للأمة والرافضين للتبعية والخضوع للمشروع الحضاري الأوروبي ومنهم بالطبع المسلم والمسيحي، وكذا لو سرت أو بحثت في الأحداث والأدبيات لوجدت السلوك الطائفي والفرز الطائفي موجود لدى هؤلاء المرتبطين بالاستعمار والرافضين للمشروع الوطني جهلا أو خيانة.

وإذا كانت البدايات الأولى للاستعمار في الشام ومصر قد جاءت معها بالطائفية فإن آخر المراحل الاستعمارية ـ الأمريكية ـ استطاعت أن تقيم مؤسسة شاملة لهذا

الغرض أسمتها مجلس الكنائس العالمي وهو فرع تابع للمخابرات الأمريكية والهدف منه زرع الخلافات الطائفية لاتخاذها ذريعة للتدخل ولمد النفوذ الأمريكي وهذا الكلام ليس من عندنا ولكن عليه شهادات من كتاب لا يمتون للاتجاه الإسلامي بصلة. فعلى سبيل المثال يقول محمد حسنين هيكل في كتابه خريف الغضب (إن مجلس الكنائس العالمي يعكس دون أدنى شك رغبة جهات أمريكية معينة في أن يقوم الدين بدور رئيسي في الصراع، وإن التحقيقات التي جرت في الكونجرس أثبتت أن مجلس الكنائس العالمي كان من الجهات التي حصلت على مساعدات ضخمة من وكالة المخابرات المركزية الأمريكية).

ويضيف هيكل (وفوق منصة الرئاسة يوم الافتتاح كان يجلس وزير الخارجية الأمريكي جون فوستر دالاس شقيق الرئيس المعين لإدارة المخابرات المركزية الأمريكية الآن دالاس إلى جانب رئيس مجلس الكنائس العالمي وكان مما قاله دالاس أن نبشر بالمسيحية فهذا معناه أن نبشر بالحضارة الغربية) (٧).

أما الكاتب القبطي المعروف د. وليم سليمان قلادة فيقول في كتابه " الكنيسة المصرية تواجه الاستعمار والصهيونية " (إن دعوة مجلس الكنائس العالمي تتجه في صراحة تامة إلى ضرورة تدخل الكنائس داخل البلاد المستقلة حديثا في سياسة بلادها، وابتدع لاهوتية جديدة لتبرير هذا الاتجاه تقول بأن نشاط الدولة في كل نواحيه السياسية والاقتصادية والاجتماعية هو تحت سلطان الله ولا بد للكنائس من أن تبدي رأيها في هذا النشاط ولا بد من الاستعانة بخبرة الكنائس الغربية حتى يكون اتجاه الكنيسة داخل الدولة المستقلة حديثا متفقًا مع اتجاه الكنائس المسيحية في الغرب ويصل التناسق بين اتجاه مسجل الكنائس العالمي والاتجاه الغربي في السياسة الدولية إلى حد أن أحد الكتب التي أصدرها المجلس تضمّن نظرية اجتماعية دينية تدعو إلى إجراء صلح بين العرب وإسرائيل) (٨).

أما الناقد الأدبي القبطي د. غالي شكري فهو ينقل النص السابق للدكتور وليم سليمان قلادة في كتابه " الأقباط في وطن متغير " ويضيف إليه (أنه في ديسمبر سنة

١٩٦١ عقد في العاصمة الهندية نيودلهي المؤتمر العام الثالث لمجلس الكنائس العالمي وأصدر قرارا يبرئ اليهود من دم المسيح ويحذر الكنائس من التعليم المعادي لليهود، وكان هذا القرار ـ والكلام ما يزال لغالي شكري ـ هو أداة الضغط الأولى على الفاتيكان ليصدر وثيقته الشهيرة في تبرئة اليهود من دم المسيح) (٩).

إذًا فمجلس الكنائس العالمي تابع للمخابرات الأمريكية على حد قول هيكل وله دور مشبوه في الترويج لقيم الحضارة الغربية والسياسة الغربية عموما والأمريكية، خصوصًا على حد قول د. وليم سليمان وهو موالي لإسرائيل على حد شهادة غالي شكري، والطبيعي والمسألة هكذا أن الموقف الوطني الصحيح هو رفض ومناهضة هذا المجلس، وبالفعل كان هذا الموقف الصحيح هو موقف الأقباط المصريين حتى جاء البابا شنودة فأصبح رئيسا له! على عكس التراث الكنسي المصري وعلى عكس المصالح الوطنية وعلى عكس المتوقع وعلى حساب المشروع الحضاري الوطني وانحيازا وتبعية للمشروع الحضاري الغربي.

وننقل هنا ما قاله الأستاذ عبد اللطيف المنادى في كتابه " الأقباط : الكنيسة أم الوطن " يقول الأستاذ عبد اللطيف المنادى (ما الذي تغير في موقف الكنيسة المصرية حتى تنخرط في أنشطة مجلس الكنائس العالمي بصورة أوسع وحتى تدفع ببطريرك أقباط مصر إلى سدرة رئاسته.

ويجيب الأستاذ عبد اللطيف المنادى (أهم متغير فيما نرى هو الطرف الثالث في المعادلة المتمثل في الأنبا شنودة شخصيًا الذي تولى منصبه سنة ١٩٧١).

وبعد أن يعد الأستاذ عبد اللطيف المنادى الحقائق حول الدور المشبوه لمجلس الكنائس العالمي، من ارتباطه بالمخابرات الأمريكية ـ واختراق الصهيونية لكنائس البروتستانتية الأوروبية والأمريكية وهي المسيطرة على المجلس منذ إنشائه يعود الأستاذ عبد اللطيف المنادي كلامه قائلاً (تلك الملابسات التي ذكرناها يتعذر تجاهلها في اللحظة الراهنة وجميعها تستحق المراجعة والتفكير العميقين) (١٠).

الفرز الحضاري مرة أخرى هو أن من ينحاز إلى المشروع الوطني سواء كان مسلماً أو مسيحياً هو على الموقف الصحيح ومن ينحاز إلى المشروع الغربي ويتنكر للمشروع الحضاري الوطني فهو إما خائن أو جاهل سواء أيضًا كان مسلما أو مسيحيًا.

فعلى سبيل المثال نجد رجلا مثل د. وليم سليمان قلادة في كتابه " الكنيسة المصرية تواجه الاستعمار والصهيونية " الصادر سنة ١٩٦٨ يعكس هذا الانتماء الوطني.

ونجد رجلاً قبطياً أيضاً هو أنور عبد الملك يعكس نفس الانتماء الوطني قائلاً:

(في تقديري أن الإمبريالية ليست فقط نظاماً اقتصادياً سياسياً ولكنها نظام يستهدف خدمة الحضارة الغربية للسيطرة على شعوب وقوميات الشرق وليس نهب مواردها الاقتصادية فقط، وقد تجلت هذه الظاهرة في موجات استعمارية أهمها الحروب الصليبية ثم في الموجات الاستعمارية التقليدية بين القرن الرابع عشر والتاسع عشر ثم في المرحلة الإمبريالية والصهيونية).

ويضيف الأستاذ أنور عبد الملك (وجدير بالذكر أن الحروب الصليبية انطلقت واستمرت عدة قرون ضد العالم الإسلامي بالذات وضد القطاع العربي من هذا العالم بالتحديد، أي أنها لم تهدف إلى مجرد كسر الإسلام في آسيا وإنما ركزت جهودها لكسر بزوغ الإسلام في القطاع العربي على وجه التخصيص، وقد بدأ هذا في القرن العاشر أي منذ عشرة قرون، وليست الدولة الصهيونية على أرض فلسطين إلا تكرارا لمحاولة الصليبيين إنشاء مملكة القدس بوصفها القاعدة المتقدمة لغزو دول أوروبا الكاثوليكية الإقطاعية)(١١).

ويقول أنور عبد الملك أيضًا داعيًا إلى المشروع الحضاري العربي الإسلامي (إننا نحتاج أول ما نحتاج إلى الاستقلال والسيادة الوطنية الكاملة في كافة أبعاد الحياة سياسيًا واقتصاديًا واجتماعيًا وعسكريًا وفوق هذا وذلك ثقافيًا وفكريًا، وذلك من أجل تمكين الحضارة الشرقية في إطاريها الإسلامي والعربي من التواجد على قدم المساواة في تشكيل وجهة العالم) (١٢).

ويقول أيضًا (لقد تكونت طلائع العالم العربي في إطار الفكر السياسي الإسلامي ولم تستشعر هذه الطلائع بوجه عام ضرورة التحول ضد هذا الفكر، إذ لم يتحول الإسلام إلى مدرسة قائمة للنظام الإقطاعي أو الأنظمة الرأسمالية في العالم العربي، وإنما ظل دوما درعا واقيا ضد الغزو الأجنبي، أي أنه ظل دوما جزءا لا يتجزأ من الإيجابية التاريخية في عالمنا العربي ضد حملات الغزو) (١٣).

ويضيف (إن الإسلام في أوطاننا معين عظيم ومنبع أصيل وإطار حضاري لتعبئة الجماهير الشعبية في معركة التحرر والسيادة) (١٤).

ويؤكد على نفس هذا الانتماء الوطني الأستاذ جمال أسعد الذي اختار قائمة التحالف الإسلامي ليترشح من خلالها لمجلس الشعب المصري عام ١٩٨٧ ونجح بالفعل من خلال تلك القوائم أي بأصوات المتعاطفين مع الاتجاه الإسلامي، والأمر هنا يعكس حقيقتين، الحقيقة الأولى أن الأستاذ جمال أسعد القبطي المتمسك بقبطيته، يؤكد هذه القبطية من خلال انحيازه للمشروع الحضاري الإسلامي، لأن التراث القبطي يؤكد أن الكنيسة القبطية هي جزء لا يتجزأ من هذا التراث، وهو أيضًا يؤكد على أن مصلحتهم في الانحياز للمشروع الحضاري الوطني والتفاعل معه والإسهام فيه، والحقيقة الثانية التي تكشف عنها عملية نجاح الأستاذ جمال أسعد بأصوات الإسلاميين أن الإسلاميين في الحقيقة ليسوا طائفيين بدليل انتخابهم لنائب قبطي ليمثلهم في البرلمان، بل إنهم يفهمون المسألة في إطار الغزو الحضاري لا الطائفي، وجدير بالذكر أن قيادة الإخوان المسلمين أصدرت بيانا في ذلك الوقت وتم توزيعه في الموقع الانتخابي يدعو الإسلاميين على إعطاء صوتهم للأستاذ جمال أسعد كواجب إسلامي.

والأستاذ جمال أسعد يعكس رؤية وسلوكا غير طائفي فهو يقول ويدرك أن الفتنة الطائفية صناعة استعمارية وصهيونية على عكس حسين أمين الذي يصم بها الشعب المصري كله يقول جمال أسعد (إن المخططات الأجنبية وعلى رأسها إسرائيل تريد النيل من وحدة الشعب المصري، ذلك الشعب الذي يمثل في كل وقت حجر عثرة

لكل المخططات الاستعمارية والصهيونية وآمال إسرائيل في التفتيت معروفة وموثقة تاريخيا، أفلا تتذكرون؟) من مقال لجريدة الشعب كتب الأستاذ جمال أسعد في عدد ٣١ يوليو ١٩٩٢ عندما يعترض على الدور السياسي للبابا شنودة قائلاً (إن البابا كقيادة دينية مكانه الكنيسة فقط وأي رأي آخر في غير الدين (الدين كتخصص) هو رأيه الشخصي وعندما يعلن البابا أن رأي الأقباط في قضية سياسية مثلا كذا فهذا ليس من حق البابا فهو ليس وكيلا عن الأقباط في التعبير عن آرائهم السياسية أو غير السياسية، أما كون البابا يأخذ هذا الدور الذي يمارسه الآن فهذه قضية أخرى).

ويقول الأستاذ جمال أسعد في مقال آخر بجريدة الشعب عدد ٢١ يوليو (فشعب مصر طوال تاريخه يفتخر بمسلميه ومسيحييه، بالأزهر الشريف والكنيسة القبطية حيث أنهما مؤسستان دينيتان وطنيتان).

أما الدكتور شكري عازر فهو يعكس نفس الرؤية الحضارية غير الطائفية ويؤكد على أن الفتنة الطائفية صناعة استعمارية، بل ويؤكد أيضًا أن الحل الإسلامي وتطبيق الشريعة الإسلامية هي محاولة للبحث عن بديل للحضارة الغربية يقول الدكتور شكري عازر (يجب أن نعترف من البداية أن ما يطل علينا برأسه بين الآونة والأخرى ويطلق عليه وصف الفتنة الطائفية بين المسلمين والأقباط في مصر لا يمكن أن يكون بعيدا بأية حال عن المخططات المشبوهة التي تلعب فيها القوى الصهيونية والاستعمارية بزعامة أمريكا دورا جوهريًا) (١٥).

أما الأستاذ فكتور سحاب فيدعو إلى التأكيد على انتماء المسيحيين العرب كلهم إلى المشروع الحضاري الإسلامي ورفض التغريب، والبحث عن الحماية من الداخل وليس من الخارج فيقول (الضمان الوحيد حتى لا يظل المسيحيون العرب يدفعون ثمن مد النفوذ الغربي وجزره كل مرة هو رفض هذا التغريب وتوسيع مساحة العيش المشترك مع المسلمين إلى أقصى الحدود حتى لا يبقى من مساحة اختلاف في حياتنا غير الدين.. والإسلام في دولته التاريخية اتسع لمواطنين مسيحيين بل أثبت أنه أكثر اتساعا للمسيحيين العرب من دولة بيزنطة المسيحية، ولا شك أن الدولة العربية

الحديثة تستطيع بلا عناء أن تكون في مثل رحابة الدولة العربية الإسلامية الأولى على الأقل، ولكن ذلك لا يظل مضمونا إذا لم يقاوم المسيحيون العرب محاولات تغريبهم، وإذا شارك المسيحيون العرب المسلمين أذواقهم ولغتهم ووجدانهم الاجتماعي فإن خير تكريس لهذه المشاركة هو الانضمام بلا تردد إلى العروبة الحضارية والسياسية الرافضة للسيطرة الغربية، وإن هذه المشاركة تهم المسلمين لأنها أحد ضمانات سيادتهم، لكنها تهم المسيحيين أكثر لأنها ضمان مصيرهم).

ويضيف (يستطيع المسيحيون العرب أن يجدوا دائمًا من يشجعهم على مخاصمة أبناء قومهم والالتحاق بالغرب، ولكنهم لن يستطيعوا دائمًا أن يجدوا من يقاتل بالنيابة عنهم ولو أراد الغرب أن يقاتل بنفسه لما اتبع سياسة دفع المسيحيين إلى خطوط النار، ولقد أثبت التاريخ للمسيحيين العرب أن التغريب يسوقهم إلى الهلاك وأن التعريب أكثر مدعاة إلى اطمئنانهم إلى مصيرهم) ويقول فكتور سحاب أيضًا (إن الإسلام الحضارة هو عامل تجميع لا تفريق) ويؤكد فكتور سحاب على أن الوجدان المسيحي العربي يماثل نفس وجدان المسلم العربي قائلاً (أفلا يطرب المسيحي العربي مثل المسلم لبلاغة اللغة العربية وقوة الشعر العربي المسبوك بلغة القرآن؟ أفلا تهزه الموسيقى العربية الغنائية المنحدرة من التجويد القرآني؟ أفلا تستهويه خطوط العمارة الإسلامية؟ أفلا تكتمل في صدره عواطف من نمط عربي لا شبيه لمثلها في الغرب؟ أفلا تحكم عقله مفاهيم اجتماعية وعائلية مماثلة لما يحكم عقل المسلم العربي) (١٦).

وفي إطار الانتماء الوطني والفرز الحضاري لا الطائفي أعطت الكثير من جماهير الأقباط أصواتها لمرشحي التحالف الإسلامي في الانتخابات المحلية التي جرت في نوفمبر ١٩٩٢ حتى أن جريدة الشعب أبرزت هذا الأمر تحت عنوان جماهير الأقباط يؤكدون ثقتهم في مرشحي التحالف.

وفي نفس الإطار ـ أي إطار الانتماء الوطني والفرز الحضاري لا الطائفي نجد أن نقابة المهندسين قامت بتكريم الدكتور مهندس ميلاد حنا لجهوده الهندسية، وهي

نقابة يسيطر عليها الإسلاميون، كما أن المعهد العالمي للفكر الإسلامي بالاشتراك مع نقابة المهندسين وفي إطار الندوة المنعقدة تحت عنوان (إشكالية التحيز رؤية معرفية ودعوة للاجتهاد) بتاريخ ١٩ ـ ٢١ فبراير ١٩٩٢ اعتمدت بحثا مقدما من الدكتور نبيل مرقص تحت عنوان (ممارسات البحث العلمي الاجتماعي بين الهندسة الاستعمارية العشرية والحوار الثقافي الخلاق).

أما مجلة منبر الشرق التي يصدرها المركز العربي الإسلامي للدراسات وهو مركز تابع لحزب العمل وهي مجلة مهتمة ببلورة المشروع الحضاري الوطني فإنها تفسح المجال لعدد من المسيحيين مثل نبيل مرقص ورفيق حبيب وغيرهما للإسهام في بلورة هذا المشروع وهو الأمر الذي يعكس فرزا حضاريًا لا طائفيًا.

وفي الحقيقة فإن مسألة الفرز الحضاري لا الطائفي سلوك وفكر نابتان لدى الإسلاميين على اختلاف طوائفهم، فإذا كان حزب العمل الذي يمثل التحالف الإسلامي الذي يضم الإخوان المسلمين قد رشح على قوائمه الأقباط، بل دعا مرشد الإخوان إلى انتخاب أحدهم كواجب إسلامي (جمال أسعد) وكذلك البيانات التي يصدرها الإخوان المسلمون في كل مناسبة والتي تؤكد على وحدة الوطن ووحدة المشروع الحضاري بين المسلم والقبطي وترفض كل سلوك طائفي، فإنه حتى تنظيم الجهاد وهو المتهم بأقصى التطرف الإسلامي يعكس هذا الأمر ذاته، ولنستدع شاهدا من أهلها ليؤكد ذلك، يقول غالي شكري فى كتابه " الأقباط في وطن متغير " في إطار وحدة للرؤى الإسلامية للقضية القبطية أن هناك إسلاميين فاعلين في الساحة الإسلامية لهم إدراك إيجابي وسليم للمسألة وينقل عن كتاب الدكتور محمد مورو (ملف الكنيسة المصرية ـ إصدار دار المختار الإسلامي) أن الدكتور محمد مورو ينتهي إلى نتيجة مؤداها (أنه بما أن الحركة الإسلامية حاليا تمارس نضالها ضد الاستعمار والصهيونية والاستبداد السياسي، وبما أن الاستعمار والصهيونية أعداء طبيعيون للكنيسة القبطية فإن هناك ما يدعو للتحالف بين الحركة الإسلامية والكنيسة القبطية) (١٨).

وإذا كان الدكتور محمد مورو ـ وهو الذي اعتقل مرتين عام ١٩٨١، ١٩٨٧ بتهمة الانتماء لتنظيم الجهاد، والذي تصفه الرسائل العلمية بأنه أحد القيادات الفكرية لتنظيم الجهاد ـ جاء ذلك في رسالة الدكتوراه التي تقدم بها الدكتور رفعت سيد أحمد ونال بها درجة الدكتوراه من كلية الاقتصاد والعلوم السياسية جامعة القاهرة عن الإحياء الإسلامي ـ إذا كان من يعتقل بتهمة الانتماء إلى تنظيم الجهاد أي في رأي المباحث أحد عناصر تنظيم الجهاد إذا كان مثل هذا الرجل يدعو للتحالف بين الحركة الإسلامية والكنيسة القبطية، أي إذا كان تنظيم الجهاد لا يجد غضاضة في التحالف مع الكنيسة القبطية فإن الحركة الإسلامية بكل فصائلها بريئة من تهمة الطائفية لأن المعروف والمتوارث أن تنظيم الجهاد هو أشد هذه الفصائل تشدداً.

إذن لا مشكلة طائفية لدى الإسلاميين ولا لدى الشرفاء عمومًا من الأقباط والمسلمين، وهذه الطائفية هي فقط دعوة الاستعمار ـ وعلماء الاستعمار والمنحازين عموما إلى الحضارة الغربية والرافضين للمشروع الحضاري الوطني جهلا أو خيانة سواء منهم المسلم أو المسيحي.

فعلى سبيل المثال نجد أن حسين أحمد أمين الذي يدعو إلى الدخول في الحضارة الغربية قائلاً إن من الضروري أن ندخل في السلام المسيحي! يقصد المسيحي الغربي الأمريكي.. هو ذاته الذي يخترع الأكاذيب وينسبها إلى الجبرتي عن فتن طائفية لم تحدث ليدلل بها على أن الفتنة الطائفية ليست صناعة استعمارية ولا صهيونية بل هي سلوك مصري صميم وقديم، وعندما يكشف الأستاذ جلال كشك هذا التزييف في رده عليه يقول حسين أمين معتذراً إن ذلك من باب الأدب وليس التاريخ، ثم يعود حسين أمين فيزعم أن ابنته رجعت حزينة من المدرسة لأن المدرس قال إن زميلتها المسيحية ستدخل النار وعندما يطلب منه وزير التعليم الكشف عن اسم المدرس الذي قال ذلك والمدرسة التي يعمل بها، يعود حسين أمين ليعتذر قائلاً أنه يخشى أن يحدث ذلك، أي أنه يختلق الوقائع اختلاقا قديما وحديثا لزرع الفتنة الطائفية وترويج

السلوك الطائفي وجعله سمة مميزة للشعب المصري قديمًا وحديثا ويبرئ من ذلك ساحة الاستعمار والصهيونية (١٩)

أما فرج علي فوده، الذي كان يلتقط أي شاردة أو وارادة ليرغي ويزيد حول طائفية وتطرف المسلمين واتهامهم بكل حوادث الفتنة الطائفية فهو نفسه الذي يتورع عن الدعوة إلى المشروع الحضاري الغربي ورفض المشروع الحضاري الوطني وهو نفسه الذي يدعو إلى التحالف مع إسرائيل وضرب السودان) (٢٠)!

بل ويدعو الغرب للتدخل في مصر لإنقاذها من الأصولية (٢١)، وهكذا فإن السمة الواضحة في مروجي الطائفية هي دفاعهم عن الاستعمار وإسرائيل وترويجهم لقيم الحضارة الغربية وتنكرهم للمشروع الحضاري الوطني.

ويأتي في الإطار نفسه محاولات الدكتور يونان لبيب رزق في تشويه الموقف الوطني للكنيسة المصرية رغم أنه قبطي فهو يدّعي وهو أستاذ التاريخ أن الأقباط لم يشتركوا في الثورة العرابية وأنهم تعاونوا مع الاحتلال الفرنسي إبان الحملة الفرنسية وأنهم لم يناضلوا ضد الاحتلال الإنجليزي لمصر، ويصف جلال كشك هذه المواقف بأنها من أدب الفتنة التوجيهي (٢٢).

وفي نفس السياق الطائفي اللامسئول قيام مواطن مصري قبطي يصف نفسه بأنه رئيس الجمهورية القبطية الفرعونية في المنفى بنشر مقال في صحيفة فرانكفورت الجماينة الألمانية يوم ٢٩ أغسطس ١٩٩٢ يدعو فيها إلى إقامةجمهورية قبطية فرعونية على ثلث مساحة مصر وزعم أن هناك مباحثات سرية تجري بين الأقباط والحكومة المصرية بهذا الخصوص، وإذا كان هذا الموقف غريب واستفزازي فإن من الغريب أكثر ألا تصدر الكنيسة المصرية قرارا بحرمان وطرد هذا الرجل! وتكتفي بنفي صلتها به.

وفي الإطار نفسه تأتي تصرفات بعض الأقباط فى المهجر وخاصة في أمريكا وهم يحرضون الحكومة الأمريكية على التدخل لحماية وإنقاذ الأقباط في مصر على حد قول الأستاذ جمال بدوي في مقالة بجريدة الوفد بهذه الخصوص (٢٣).

هوامش

(١) لعبت الكنيسة المصرية مثلا دورا هاما في التصدي لإرساليات التبشير الأجنبية التي شكلت خطرًا أساسيا على الكنيسة المصرية فضلا عن المسلمين، كما لعبت تلك الكنيسة دورا هامًا في التأكيد على الثقافة الوطنية ورفض التغريب.

د. سوسن سليم إسماعيل ـ الجذور التاريخية للأزمة اللبنانية مكتبة نهضة الشرق ـ القاهرة ـ ١٩٨٨.

(٣) نفس المرجع السابق.

(٤) نفس المرجع السابق.

(٥) نفس المرجع السابق.

(٦) محمد جلال كشك ـ ودخلت الخيل الأزهر ـ دار المعارف ـ القاهرة ١٩٧٨.

(٧) محمد حسنين هيكل ـ خريف الغضب.

(٨) وليم سليمان قلادة ـ الكنيسة المصرية تواجه الاستعمار والصهيونية ـ القاهرة ـ ١٩٦٨.

(٩)غالي شكري ـ الأقباط في وطن متغير. ـ دار الشروق ـ القاهرة ـ ,١٩٩١

(١٠) عبداللطيف المنادي ـ الأقباط الكنيسة أم الوطن قصة البابا شنودة الثالث ـ دار الشباب العربي للنشر ـ القاهرة ,١٩٩٢

(١١) أنور عبد الملك ـ ريح الشرق ـ دار المستقبل العربي ـ القاهرة ـ ,١٩٨٣

(١٢) نفس المرجع السابق.

(١٣) نفس المرجع السابق.

(١٤) نفس المرجع السابق.

(١٥) مقال ـ بجريدة الشعب للدكتور شكري عازر عدد ٢١ يوليو ـ ١٩٩٢.

(١٧) فكتور سحاب ـ من يحمى المسيحيين العرب.

(١٨) جريدة الشعب ـ / ٩ / ١١/ ١٩٩٢.

(١٩) غالي شكري ـ مرجع سابق صـ ١٤٦.

(٢٠) أعداد متفرقة من جريدة الأمالي ـ جريدة الأخبار ـ عدد ٢ يونيه ١٩٩٢.

أعداد متفرقة من مجلة أكتوبر.

(٢١) محمد جلال كشك ـ ألا في الفتنة سقطوا ـ مكتبة التراث الإسلامي ـ القاهرة ١٩٩١.

(٢٢) محمد جلال كشك ـ الأخبار ـ ١٤ يوليو ١٩٩٢.

(٢٣) جمال بدوي ـ الوفد ـ / ٣ / ٨/ ١٩٩٢.

obeikan.com